الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور – الجلفة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قســـــم العـــــلوم الإنسانيـــــة

دروس موجهة + محاضرات

خاصة بمستوى السنة الثانية تاريخ (ليسانس)

مقياس تاريخ وحضارة المغرب القديم

حضارات الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط

إعداد: الأستاذ: كاكي محمد

2022/2021

المقدمـــــــة

تتناول الدراسة موضوع ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها (الشمال الإفريقي أنموذجا)، حيث تركز الدراسة بالخصوص على مجموعة محاور تتناول الإجابة عن الإشكال العام، ويتعلق ذلك أولا بالنشاط الزراعي ومظاهره، من حيث دراسة واقع النشاط الفلاحي في المغرب خلال الفترة الرومانية، ممثلة في انتشار النمط الرعوي في المغرب الروماني(Nomadisme)، والسياسة الفلاحية الرومانية عموما في بلاد المغرب، ثم دور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد الزراعي، ممثلة في الاقتصاد المغربي في ظل الاحتلال الروماني، وأهم أشكال الاستغلال الاقتصادي وطرقه، التي بالغة في استنزاف الأراضي، وعمليات القطع المفرط للأشجار، إضافة لتفضيلهم لبعض الاستثمارات عن الأخرى،

وتلك هي سياسة روما الاستعمارية في المجال الاقتصادي، وما ترتب عنها من احتلال مباشر، كما تبين الدراسة أهمية الاقتصاد في قوة الرومان، وسعي الإمبراطورية لتوفير الأمن الغذائي، واعتمادها على شبكة واسعة من طرق المواصلات الاقتصادية، مع إبراز أهمية الطرق المغربية في الاقتصاد الروماني، ومختلف طرق المواصلات ووسائل النقل بين الرومان ومستعمراتهم، وأهمية النقل التجاري البحري للرومان ومستعمراتهم، وضمنها بناء سفن النقل..

إضافة لذلك يظهر جليا تنوع مظاهر الاقتصاد الروماني، من حيث أهم السلع والمنتجات الرومانية وحركة النقل مع العالم الخارجي، في الجانب الزراعي، والجانب الصناعي، والتجارة وحركة النقل، والأسواق والنقد، وأهمية التشريع الزراعي في الدولة الرومانية، ثم دور الإصلاحات والتنوع الاقتصادي، وأهم التقنيات الزراعة الرومانية، واهتمام الحكومات بالإعانات الاقتصادية للمواطن الروماني، وبلقتصاد الحرب وتموين الجيوش بالغذاء، والتركيز دوما على المبادلات التجارية، والنقل التجاري وتموين المدن، وتنويع الواردات الغذائية من الشمال الإفريقي، الذي يعتبر الممون الإستراتيجي للرومان بالقمح، مع تغطية المستعمرات الرومانية لمواردها وحاجياتها الزراعية، من خلال أهمية النشاط التجاري بين الرومان ومستعمراتهم المؤمن والمستمر، وبالتالي انعكاس ذلك على عوامل ازدهار تجارة المستعمرات الرومانية..

في الدراسة تناولت موضوع ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها (الشمال الإفريقي أنموذجا)، حيث قدمت إجابات ومعلومات عن الإشكالات الواردة في الموضوع والمتعلقة أساسا بالنشاط الزراعي ومظاهره والمتمثل في واقع النشاط الفلاحي في المغرب خلال الفترة الرومانية، وانتشار النمط الرعوي في المغرب الروماني، والسياسة الفلاحية المنتهجة، في إطار الرومنة، ودور المستعمرات الرومانية في ازدهار

حركة الاقتصاد الزراعي، مع إبراز مختلف أشكال الاستغلال الاقتصادي، وطرقه، كاستنزاف الأراضي، والقطع المفرط للأشجار، وتفضيل بعض الاستثمارات عن الأخرى، ولذلك كان الرومان يحرضون على امتيازاتهم الاقتصادية لدعم قوتهم، وسعيهم لتوفير الأمن الغذائي..

كما أشرت في الدراسة لأهمية طرق المواصلات في المجهود الاقتصادي مع إبراز وسائل انقل بين الرومان ومستعمراتهم، كالنقل التجاري البحري، وبناء سفن النقل، وذلك ما أدى لتنوع مظاهر الاقتصاد الروماني، وتنويع السلع والمنتجات وازدهار حركة النقل مع العالم الخارجي، وهيمنة الرومان على الجانب الزراعي والصناعي،

وحركة النقل، والأسواق والنقد، بل وسن تشريع زراعي، والقيام بالإصلاحات لتنويع الثروة، وانتهاج تقنيات زراعة، مع الإعانات الاقتصادية للمواطن الروماني، والاهتمام بلقتصاد الحرب وتموين الجيوش بالغذاء.

وهكذا نصل لنتيجة اهتمام الرومان بلمبادلات التجارية، والتفوق في مجال النقل التجاري وتموين المدن، وتنويع الواردات الغذائية من الشمال الإفريقي، بل وتغطية المستعمرات الرومانية لمواردها وحاجياتها الزراعية، ضمن

النشاط التجاري بين الرومان ومستعمراتهم..

الموضـــــوع

ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها

– الشمال الإفريقي أنموذجا–

أولا

النشاط الزراعي ومظاهرة

1) واقع النشاط الفلاحي في المغرب خلال الفترة الرومانية:

يعتبر الاحتلال الروماني للمغرب من أخطر أنواع الاحتلال التي عرفتها البلاد في تاريخها السياسي، نظرا لطبيعته السياسية، حيث تبنى سياسة استعمارية كانت لها انعكاسات سلبية عدة على وحدة البلاد السياسية، وبالأخص على إعادة توحيد الدولة المغربية، ويمكن أن نحصر هذه الانعكاسات في ظاهرتين أساسيتين تتمثلان في كل من انتشار النمط الرعوي، وتكون الإمارات السياسية[1].

أ) انتشار النمط الرعوي في المغرب الروماني(Nomadisme):

رغم أن النمط الرعوي كان متواجدا بالمغرب نتيجة لظروف جغرافية وسياسية، بما كان يمثله ذلك من تمرد على السلطة المركزية، إلا أن انتشاره لم يصل إلى الحد الذي بلغه بعد الاحتلال الروماني للمغرب، ويرجع هذا الانتشار بالخصوص إلى السياسة الاستعمارية المنتهجة من طرف سلطات الاحتلال، سواء على الصعيد الفلاحي أو على الضريبي أو الطرقي[2].

ب) السياسة الفلاحيـــــة:

---

[1] محمد شقير، تداعيات الاحتلال الروماني على وحدة الدولة بالمغرب، جريدة هسبرس الإلكترونية المغربية، الثلاثاء 06 فبراير 2018 - 00:58

[2] محمد شقير، المرجع السابق.

من المعروف أن أهم الدوافع التي حركت روما لاحتلال المغرب تكمن بالخصوص في الحصول على القمح، لذا فبمجرد ضم المغرب إلى الإمبراطورية الرومانية تم التفكير في الاستحواذ على أخصب الأراضي الفلاحية المغربية، وقد تمت هذه العملية من خلال اللجوء إلى وسائل عدة، من أهمهـــــا:

= مصادرة الأراضي الزراعية

= الاستيلاء على الأراضي المخصصة للرعي

= تحويل الملاك إلى مؤاجرين

= فرض السخرة

وقد أدت هذه السياسة إلى تجريد العديد من السكان من أراضيهم الفلاحية؛ بحيث أصبحوا أمام خيارين: إما الخضوع للسخرة ودفع الضرائب، وإما التمرد والهروب إلى الصحراء وراء الليمس.

وهكذا عبر (العروي) على هذه الظاهرة عندما أشار إلى أن "الليمس ليس تماما حدا من حدود الحضارة بقدر ما هو حد متحرك بين الذين نزعت ملكيتهم، الذين تم دفعهم إلى الصحراء والشغيلة الذين تدعوا إليهم الحاجة الماسة، الذين يسخرون ويرهقون بالضرائب، وعليه يتحدد المتمردون، فالمور هم الذين نزعت ملكيتهم واختاروا الحرية"[3].

ج) سياسة الرومان الزراعية في المغرب:

استحوذ الرومان على أخصب الأراضي الفلاحية المغربية من خـــــلال :

= مصادرة الأراضي الزراعية

=الاستيلاء على الأراضي المخصصة للرعي

= تحويل الملاك إلى مؤاجرين

---

[3] محمد شقير، تداعيات الاحتلال الروماني على وحدة الدولة بالمغرب، جريدة هسبرس الإلكترونية المغربية، الاثنين 05 فبراير 2018 - 05:00

= فرض السخرة

وبالتالي فإن السياسة الفلاحية التي اتبعها الاحتلال الروماني في المغرب تقوم علـــى:

= مصادرة الأراضي الزراعية

= مصادرة الأراضي والغابات المخصصة للرعي

= تحويل ملاك الأرض إلى مؤجرين في أرضهم

= فرض السخرة والتهجير[4].

السنة	كمية القمح	كمية الشعير	الوجهة
200 ق.م	14000 قنطار	10500 قنطار	الجيش الروماني بمقدونيا
198 ق.م	14000 قنطار	----------	الجيش الروماني باليونان
191 ق.م	56000 قنطار	28900 قنطار	إلى روما واليونان
170 ق. م	70000 قنطار	----------	جيش مقدونيا

الكمية التي زود بها النوميديون الرومان

نقلا عن ، نشر المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص. 50. غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر: ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تعريب وتحقيق العربي عقون.

[4] خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف محمد العقون العربي، جامعة قسنطينة2، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص ص. 20-49.

ثانيا

دور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد الزراعي

1) الاقتصاد المغربي في ظل الاحتلال الروماني:

بخصوص سياسة روما الاقتصادية فإنها قسمت المغرب إلى مناطق نافعة وغير نافعة، وبطبيعة الحال فإن المناطق النافعة استوطنها الرومان كما تفيدنا بذلك البراءات العسكرية المكتشفة في كل من بناصا ووليلي، حيث توضح أن العديد من قدماء المحاربين نالوا بهذه المناطق النافعة قطعا أرضية، وأكثر من ذلك فإن نقائش وليلي توضح كيف استقر بها مهاجرون من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، حيث قدموا من فيينا وسوريا وبلاد العرب أما التمثال الذي وجد في سلا لمركوس سولبيكيوس والذي أقامه مجموعة من الأصدقاء، فتدل أسماؤهم وألقابهم على أنهم قدموا من اسبانيا وايطاليا، لكن إذا كانت هذه النقائش تخبرنا بجنسيات المستوطنين فإننا سنظل نتسائل حول نوعية الاستغلال الاقتصادي الذي أقامه هؤلاء في المغرب[5].

أ) أشكال الاستغلال الاقتصادي:

وزع الرومان نوع الاستغلال الاقتصادي على الأنشطة التالية:

= زراعة القمـــح:

يعدّ القمح من أهم المحاصيل الزراعية الإفريقية التي نالت اهتماماً كبيراً في زراعتها حتى في العصورالسابقة للاستعمار الروماني، فقد ساعد مناخ شمال أفريقيا مع وفرة المياه علي إنتاج كميات كبيرة من الغلال والحبوب[6]، فضلاً عما تمتعت به التربة من خصوبة في الكثير من المناطق مثل وادي كينوبس الذي أشار هيرودوتوس إلى خصوبته مقارناً إياه بأرض بابل[7].

---

[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول، (203- 46 ق.م)، دار هومة، الجزائر، 1996، ص ص. 100- 114.

[6] محمد مبارك الميلى , تاريخ الجزائر القديم والحديث , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1976 , ص.33.

[7] أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا،ط2 ،دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع ،مصراتة، 2004م،ص124

وهي زراعة ادخلها البونيقيون وازدهرت في عهد الملوك الموريين كما دلت على ذلك النقوش الموجودة على النقود المكتشفة في طنجة وأصيلة وليكسوس وبناصة وبابا، أما في العهد الروماني فسيزرع القمح في أراضي كانت بورا وبكميات ضخمة لدرجة أن موريطانيا كانت لأحد مخازن الشعب الروماني.

= زراعة الزيتون والأغراس النافعة والبقليات كالفول .

= تربية الخنازير .

= صيد السمك:

في هذا الصدد قاموا بإحياء المصايد البونيقية لصيد السمك وأنشأوا معامل جديدة لتمليحه بلكسوس

= تجارة الأخشاب وجلود الفراء والعاج عن طريق استغلال غابات العرعار بالمغرب وصيد الحيوانات الضارية والفيلة.

ب) طريقة الاستغـــــلال:

= استنزاف الأراضي:

أثناء تنظيم عمليات استغلال ثروات المغرب فإن الرومان لم يهتموا إلا بمصلحتهم ولم يعيروا اهتماما لحاجيات السكان المحليين فكانت طريقتهم قائمة على استنزاف الأراضي والاستغلال المفرط مع حرمان الأهالي من الاستفادة منها، فهم مثلا اصطادوا الوحوش الضارية لتزويد ملاعبهم ومتاجرهم بالفراء واصطادوا الفيلة طمعا في

عاجها بشكل مفرط حتى انقرضت نهائيا في القرن الرابع الميلادي[8].

= القطع المفرط للأشجار:

---

[8] Peyras. J, les cités libres à l'époque romaine, in: D.H.A, Volume 23, N°1 ,1997, PP. 307-310.

قاموا بالقطع المفرط لأشجار العرعار حتى انقرضت أما في مجال تربية المواشي فإنهم لم يهتموا إلا بأنفسهم فربوا الخنزير رغم أن لحمه مكروه من طرف الأمازيغ .

= تفضيلهم لبعض الاستثمارات عن الأخرى:

يلاحظ أن اهتماماتهم الاستثمارية لم تتطابق تماما مع نظيرتها الفينيقية أو المغربية، فهم وإن احيوا المصايد البونيقية فإنهم أهملوا المتاجر التي أنشأها البونيقيون على المحيط، كذلك هجروا حقول النخيل بوادي تنسيفت وأهملوا جزر الكناريا ومصبغات الأرجوان وأهملوا كذلك مناجم الفضة في درعة.

2) سياسة روما الاستعمارية في المجال الاقتصادي:

ما يمكن قوله بخصوص هذه السياسة هو أنها قامت على الاستنزاف المفرط لثروات المغرب مع الاقتصاد في النفقات العسكرية، لهذا حصر الرومان تواجدهم العسكري في المناطق النافعة (من طنجة إلى وليلي)، ولهذا كان عدد الجنود لا يتعدى ستة آلاف رجل وقد عوضت روما هذا النقص في العدد بإقامة طرق تربط بين طنجة وسلا ووليلي، من أجل ضمان تحرك سريع للقوات العسكرية بالإضافة إلى أن المستوطنين الرومان كانوا أساسا من الجنود المسرحين من الخدمة وبذلك كانوا يشكلون جيش احتياط يمكن استخدامه في أي لحظة لمواجهة ثورات الأهالي[9].

أ) نتائج الاحتلال المباشر:

إذا قمنا بمقارنة بين مغرب ما قبل بطلمي وما بعده، فإننا نلاحظ أنه في عهد الملوك الأمازيغ كان السلام مخيما على المغرب أما في عهد الاحتلال المباشر فكانت الثورات لا تنقطع كما توضح ذلك النقائش المكتشفة في وليلي والتي تتحدث عن المعاهدات المتكررة التي كانت السلطات الرومانية تبرمها مع ملوك القبائل الأمازيغية هذه الاضطرابات والثورات استمرت إلى أن اضطر

---

[9] رستوقتزف. م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج. 1، ترجمة ومراجعة زكي على ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص. 29 ؛ بورونية الشاذلي والطاهر محمد، قرطاج البونية: تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص. 253.

الإمبراطور (ديوكلتيان) إلى التخلي سنة 283م عن موريطانيا السفلى والاحتفاظ فقط بموريطانيا الطنجية وضمها إلى أبرشية اسبانيا[10].

3) أهمية الاقتصاد في قوة الرومان:

لم يكن للوحدة السياسة في الدولة الرومانية في العهد الإمبراطوري أن تكتمل ما لم يتحقق لها أدنى حد من وحدتها الاقتصادية والاجتماعية تشد بين أطراف هذه الوحدة، فالجمهورية (509 – 27 ق.م) لم تهيئ لها الظروف لظهور عفوي, إذا أن جل همها انصرف لإشباع حاجات روما المباشرة بالاستغلال والاحتكار المباشر لخيرات وثروات البلاد المفتوحة وأن توفر للايطاليين أحيانا بغير رضى منها المنافع التي يتمتع بها المواطنون من سكان روما, دون أن تضمن لهم الوضع الحقوقي المساوي لما ينعم به المواطن الروماني في المدينة, أما الأمر فقد تم على غير ذالك مع الإمبراطورية (27ق.م– 476م) تحت تأثير إدارة واعية مدركة لأغراضها ناشدة لأهدافها من جهة، ومن جهة أخرى بفضل التطور والتغيرات الذي خضع له وضع الإمبراطورية العام خلافا للعهد الجمهوري بعد أن عرفت أن تهيء له الأسباب اللازمة وأهم هذه التغيرات كان استتباب السلام الروماني (Pax Romana) ، وانتظام الإدارة في الولايات..، وقد صحب هذه التغييرات انقطاع دابر الارتباكات الإدارية وتوقف استغلال هذه الولايات المفرط لصالح أقلية ضئيلة من أصحاب الامتيازات[11].

4) سعي الرومان لتوفير الأمن الغذائي:

إن الشعور الذي ساد الجميع من سكان الإمبراطورية خلال القرنين الأولين الميلادي هو أن الحياة الاقتصادية تميزت بالازدهار والانطلاق, وقد راح معاصرو هذا العهد يعزون الفضل هذا كله للجهاز الإداري للإمبراطورية ولا سيما للأباطرة أنفسهم وهم في ذالك يرددون ما تنفخ به أبواق

---

[10] جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ترجمة محمد التازى سعود، ج. 2، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2008، ص. 15.

[11] عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، نشر دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص ص. 60- 70.

الدعاية الرسمية للدولة، ومع هذا فإننا لا نستطيع أن نعزو فضل ذالك إليهم، أي الأباطرة إلا من ناحية فرعية باعتباره نجاحا أو نتيجة لسياستهم الحربية والإدارية التي أدت إلى تنظيم الجهاز الإداري والنظام القضائي في الولايات وتوطيد السلام في ربوع الإمبراطورية وهو بالتالي ما انعكس وخلق حالة من الازدهار الاقتصادي هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الأباطرة أنفسهم كثيرا ما احترزوا من تطبيق سياسة اقتصادية موجهة ولا سيما من وضع فلسفة اقتصادية تقوم على توجيه الدولة للاقتصاد ولعل خير ما كانوا يرجونه ألا يتدخلوا في أمور وموضوعات كثيرا ما أوعزتهم الحيلة في معالجتها وما كانوا ليرغموا على لتدخل بتاتا لولا اضطرارهم لمواجهة قضيتين عصيبتين هما تامين تموين روما بالقمح وتموين الجيش الروماني على الحدود[12].

[12] شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودو رها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 98.

ثالثـــا

طرق المواصلات الاقتصادية

1) أهمية الطرق المغربية في الاقتصاد الروماني:

على غرار ما قامت به روما في مناطق شمال إفريقيا المحتلة، ربطت السلطات الرومانية كل المناطق المغربية التي احتلتها بشبكة من الطرق، وقد كان الهدف من إنشاء هذه الشبكة تحقيق مرامي عدة، من أهمهـــــا:

أولا: ربط موريتانيا بالمستعمرات الرومانية الأخرى

ثانيا: تسهيل عملية تصدير المنتجات المغربية

ثالثا: تسهيل عملية ملاحقة القبائل المتمردة

وقد أسفرت مختلف هذه السياسات عن تراجع كبير للحياة الحضرية بالمغرب نتيجة للأسباب التاليـــــة:

= هجرة الأهالي إلى المناطق الصحراوية

= تحول السكان من حياة الاستقرار إلى حياة الترحال

= انتشار الفوضى وعدم الأمن.

ونتيجة لهذه الأسباب أيضا، أصبح الضغط شديدا على مختلف المناطق الصحراوية بالبلاد، لأنها أضحت ملجأ سياسيا لكل الفارين من تعسف الحكم الروماني. وقد أدى ذلك إلى إحداث خلل في التوازن الديمغرافي للبلاد، إذ أصبحت المنطقة الصحراوية أكثر سكانا من شمال المغرب بكل ما ترتب عن ذلك من انعكاسات سلبية على مستقبل البلاد والتأثير في تطورها السياسي، وقد ألمح المؤرخ (العروي) بذكاء إلى هذه الظاهرة، حيث أشار إلى أن "الصحراء، الملجأ التاريخي الصرف، هي التي سوف تضغط بكل سلبيتها على التطور المغربي من القرن الثالث إلى السابع"،

وتكمن هذه السلبية التي تحدث عنها العروي في تراجع الحياة العامة بشكل عام، والانتظام في تجمعات محلية تمثلت على الخصوص في انتشار الإمارات السياسية[13].

2) طرق المواصلات ووسائل انقل بين الرومان ومستعمراتهم:

أنشأت الدولة الرومانية شبكة من الطرق المركزية الممتازة وتعهدت بصيانتها والرعاية بها وتبرز أهمية هذه الطرق إذا ما قارنها بما كان سائد قبلها إذ كانت مجرد مسالك تعارف الناس منذ أمد بعيد على الترحال أو نقل بضاعتهم عبرها, وقد حقق مهندسي الطرقات الرومان انجازات هندسية جبارة تعد بحق من معجزات الهندسة المدنية آنذاك, إذ تمكنوا من تخطى النواتئ الطبيعية من جبال ووديان ومنحدرات وأنهر صعبة الاجتيازات ومدوا شبكة من طرق تتخللها مجموعة من الجسور والقناطر التي شقت عباب أنهر الدانوب والراين ومن عجائب الطرقات الرومانية آنذاك هو تجهزيها بما يعرف اليوم بإشارات الطرق وبأحجار قياس المسافة الكيلومترية أو ما يعرف بالاتينية بـ: (Miliarium) والتي كانت توضح أسماء المدن التي تقود إليها الطريق مع ذكر المسافة المتبقية من الحجر إلى المدينة أو اتجاه المدن وأسمائها بالنسبة للإشارة الطرق، والى هذا فقد بنيت جميع المدن الجديدة كتيمقاد وفقا لمخطط شبكة الطرق المتعامدة التي سهلت حركة النقل والتجارة وقد كانت هذه الأعمال الهندسية مثال للأجراء، فكل الأباطرة الذين تعاقبوا على الحكم تركوا آثارهم المعمارية البارزة التي تحدت الدهر ولا تزال ماثلة إلى اليوم..، ومع ذلك فإن وسائل استخدام الحصان والنقل لم تعرف نفس التطور والنجاحات التي عرفها فن الهندسة المدنية الرومانية في مجال بناء الطرق, فسيطرة حيوانات الجر بقيت عادة محدودة لم يشع استعمالها خارج مخيمات الجيش, وطريقة كدن الحصان إلى العربة ظلت بدائية إذ استمروا في استعمال سيور يؤثر ضغطها على صدر الحصان وحركة تنفسه, ولذا قلما زادت حمولة عربة يجرها جوادان على 500 كلغ وهي كمية قليلة هينة ترهقها تكاليف الرسوم والسفر[14].

---

[13] جين أفريك، اليونيسكو، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا العام، ترجمة السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، إشراف جمال مختار، الجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، ص. 12 وما بعدها.

[14] Th. Kissel, "Road-Building as a munus publicum" dans P. Erdkamp dir., The Roman Army and the Economy, Amsterdam, 2002, PP. 127-160.

فالطرقات الإمبراطورية التي لا تزال تبعث في النفس الدهشة والإعجاب لصمودها وانسيابها في صراط قويم غير مبالية بموانع الطبيعة, كانت تصلح لنقل البريد الإداري الإمبراطوري (cursus publicus)وتنقلات المسافرين الذين لم يكونوا ليحملوا معهم أكثر من متاعهم وقبل كل ذالك لتحركات الجيوش أكثر مما صلحت أو استغلت في تنشيط حركة التجارة والاقتصاد خصوصا في ذالك الشطر الشرقي من الإمبراطورية..

3) النقل التجاري البحري للرومان ومستعمراتهم:

راحت الحركة التجارية تعول بالأكثر على النقل البحري فقامات أساطيل وعمارات يقودها مجذفون تمخر المتوسط ومجاري الأنهر ذهابا وإيابا حتى ما كان منها صعب المسالك كنهر الرون ونهر الأودر, وقد لجاء المهندسون الرومان الذين عرفوا بجرأتهم في مجالات التعمير والبناء إلى حفر الترع والأقنية المائية لتقليل المسافة ومدة السفر عن طريق اختصار المسالك, ومن الأقنية القليلة التي عرفت عنهم وما تزال ظاهرة إلي اليوم قناة تتعلق بمجرى الراين الأسفل ولا سيما قناة (Fossas Drusianae)أو قناة دروسوس العسكرية والمعروفة اليوم باسم ايسيل (Ijssel) التي كانت تربط الراين ببحيرة فليفو (Flevo Lacus) المعروفة ببحيرة(Zuiderzee) بهولندا اليوم, أو القناة التي بدأ بها (قيصر) واستمر (نيرون) في العمل عليها في ما يعرف اليوم بقناة كورنثية أو (Dhioryga tis Korinthou) والتي كانت تهدف لشق برزخ كورنثية وتفتح الطريق المباشر ما بين بحر إيجه والبحر الأيوني لتفادي الدوران حول شبه جزيرة البيلوبينز جنوبا[15].

وعرفت الملاحة في البحر المتوسط ازدهارا غريبا بعد أن قضي على أعمال القرصنة التي تعرض لها منذ أن دمر الرومان قوة رودوس البحرية في القرن 2 ق م, ولكن على الرغم من استتاب الأمن وضمان حرية الملاحة البحرية في المتوسط بفضل العناية التي أولها الأباطرة لسلامة إمدادات القمح من مصر وإفريقيا, إلى أن تطور صناعة السفن التجارية لم تعرف أي تطورا ملموسا يراعي ويواكب هذا النشاط الدؤوب في حركة التجارة المتوسطية، واستمرت هندسة السفن

[15] رستوفتزف. م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة زكى على، دار النهضة المصرية ، القاهرة، 1957، ص ص. 370- 390.

وأحجامها متوسطة على الجمال ذو حمولة وسرعات متوسطة ساهمت إلى حد كبير في خفض وتيرة النشاط التجاري ورفع تكاليف الرحالات التجارية حيث كثيرا ما اضطر التجار شحن بضائعهم في أكثر من رحلتين وهذا ما انعكس أيضا على أسعار البضائع التي شحنت ذهابا وإيابا, وعلى نقيض هذا فإن الأسطول الإمبراطوري الخاص بدائرة التموين ونقل الحبوب (Cura Annonae) كانت تخضع لتصاميم خاصة التي أتى المؤرخ الروماني (بليني الأكبر) على ذكرها, حيث بلغت من ضخامتها أنه كان منها ما استخدم لحمل المسلات فرعونية أو قواعد تماثيل بوزن لا يقل عن 500 طن بقطع النظر عن صابور السفينة الذي كان يبلغ أحيانا وزن 800 طن أما في ما يخص القمح فقد كانت حمولة السفينة الواحدة تقدر بـ: 350 طن تحفظ في أقسام خاصة منعا لتعرضها للرطوبة والتعفن, وظلت عبارة القمح الإمبراطورية الأكبر على الإطلاق إلى غاية ظهور عبارة الأطلسي البخارية (atlantic steamer) في القرن 19م[16].

4) بناء سفن النقـــــل:

نظرا لحاجة روما إلى مئات أو حتى آلاف السفن لنقل الحبوب فقد شجعت الدولة مصانع الخواص (collegia navicularii) على بناء السفن الكبيرة وكثيرا ما استغلت الإدارة الرومانية سفنا مملوكة للقطاع الخاص في نقل الحبوب، وقدمت الحكومة الرومانية إعفاءات واستثناءات ضريبية لتشجيع بناء السفن وتجارة الحبوب، وواجهت مخاطر الشحن على نفسها من خلال توفير شكل من أشكال التأمين لمالكي السفن، وقد أدى إعداد المرافئ البحرية منها والنهرية وتهيئتها إلى القيام بأشغال عظيمة حذا المهندسون الرومان حذو أسلافهم اليونان وفاقوهم في أشياء كثيرة تشهد عليها معالم موانئ الإسكندرية وبمبيوبوليس في كيليكية وطرابزون على البحر الأسود بتركيا وغيرها, ولكن لم تبلغ هذه الأشغال من العظمة والجهد ما بلغه إعداد مرفأ اوستيا (Portus) ومرفأ روما الرئيسي ولا تزال ماثلة إلى اليوم معالم الإنشاءات الجبارة التي قام بها المهندسون الرومان كالأرصفة الضخمة التي أقاموها لكسر قوة أمواج البحر العاتية والجزر الاصطناعية كجزيرة المنارة

[16] محمود إبراهيم السعدنى، تاريخ وحضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول للميلاد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2007، ص ص.130- 148.

(praeberi Fari)عند مدخل الميناء وجزيرة (Isola Sacra) أو الجزيرة المقدسة التي بنيت ما بين التيبر والبحر التيراني كواحدة من أوائل الجزر الاصطناعية في التاريخ التي تعد بحق أحد إعجازات الهندسية المدنية الرومانية وقد شقت(Isola Sacra) قناة بحرية سميت بـ: Fiumara) (Grande تصل ما بين الميناء الرئيسي ومنطقة متسودعات التخزين المسماة (horrea) في اوستيا والتي خصصت حصرا للمرور مراكب الحبوب التي كانت تنقل حمولة الحبوب من الميناء إلى القطاع الجنوب للميناء حيث توجد مستودعات التخزين (horrea) أو تنقله مباشرتا إلى روما عبر نهر التيبر[17].

[17] ستانفورد ماك كراوس، كتاب العبودية والاقتصاد في روما القديمة، ترجمة محمد عرفات، نشر كتب كامبريدج ستانفورد، ص. 20 وما بعدها. ؛ أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007، ص ص. 15 – 37.

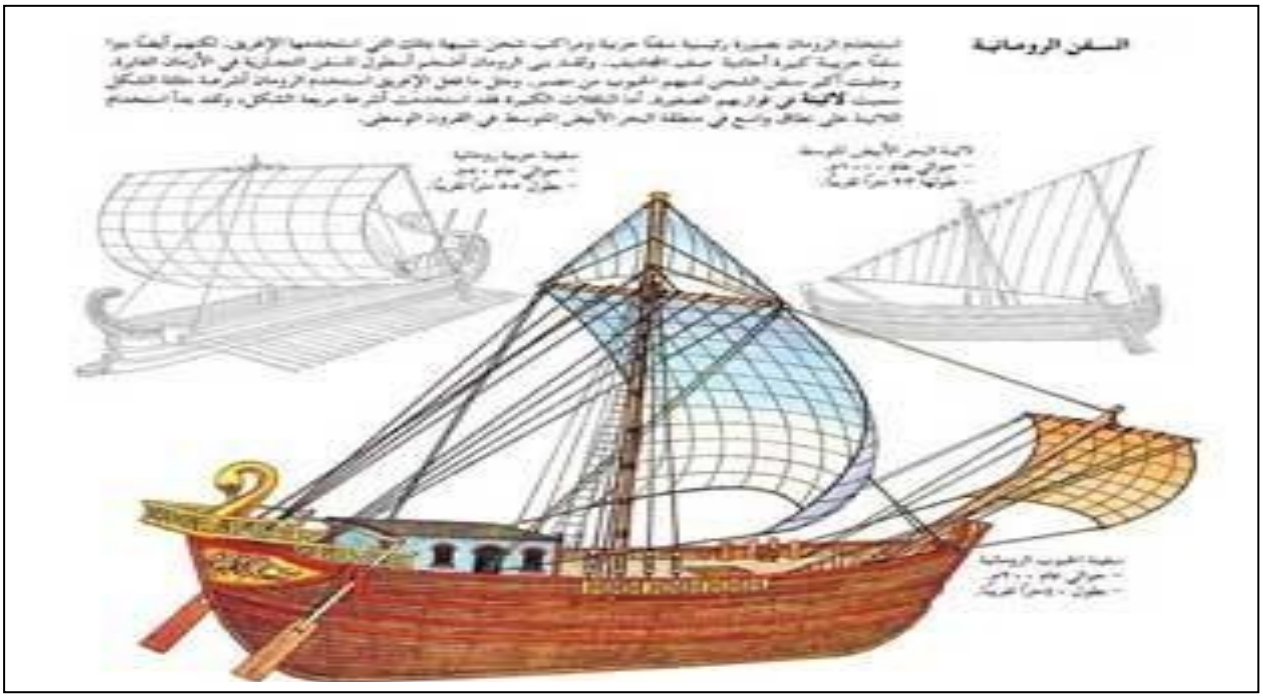

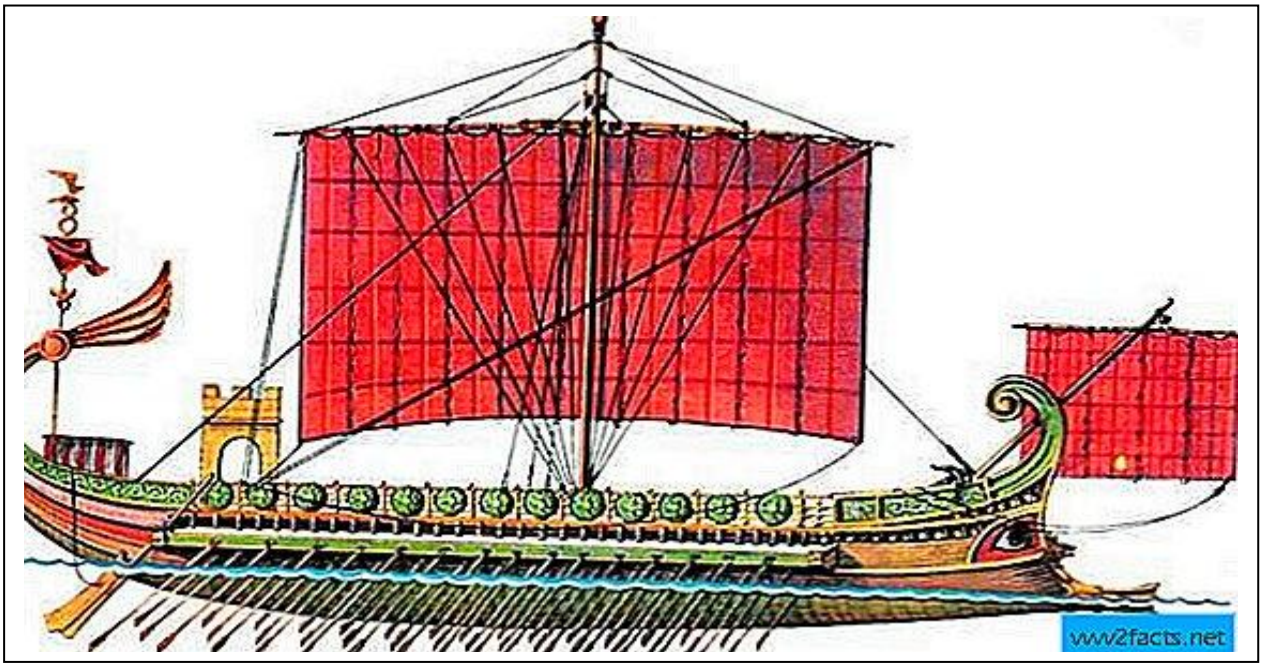

التين. 1. الروماني بيرمي (مجموعة ارتيمون والشراع الرئيسي ، الصف الثاني من المجاذيف إزالتها

رابعـــــا

تنوع مظاهر الاقتصاد الروماني

1) أهم السلع والمنتجات الرومانية وحركة النقل مع العالم الخارجي:

أ) في الجانب الزراعي:

-كانت الزراعة أساس حياة الرومان، حيث كانت الملكية الفردية قائمة فى روما منذ أقدم العصور ويعمل بها جميع أفراد الأسرة وعبيدها، وقد امتلكت الطبقة الارستقراطية مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وعمل عندهم أعداد كبيرة من العبيد، وبالتالي تنوعت محاصيلهم كالقمح وبساتين الزيتون وكروم العنب والفاكهة والبقول، كما تنوعت ثروتهم الحيوانية، كالخنازير والأبقار والأغنام التي تربى من أجل ألبانها وأصوافها وجلودها، وكانت شمال إفريقيا كالمغرب ومصر مخزنا للقمح الدائم للإمبراطورية الرومانية[18].

ب) في الجانب الصناعي:

كانت الصناعة أقل نسبياً من الزراعة من حيث أهميتها، والصناعات الكبيرة فى روما القديمة تتمثل فى منتجات التعدين كاستخدام المناجم لاستخراج المعادن التي استخدمت في صناعة الأدوات والأسلحة كما تم استخراج كميات كبيرة من الذهب والفضة التي تستخدم في صناعة القطع النقدية والمجوهرات وتم استخداملالحديد والرصاص والقصدير في صناعة الأسلحة، إضافة للمحاجر التي وفرت الحجارة لبناء المشروعات المختلفة، والفخار الذي أنشأت له روما مصانع صغيرة من أجل تصنيع قطعه، بجانب الصناعات اليدوية، وصناعات أخرى تمثلت في النسيج والصباغة وصناعة الطوب والنجارة[19].

---

[18] Berbrugger A, les romains dans le sud de l'Afrique, R.A., Volume2, 1957, P. 283.

[19] Potter David S, (2009), A Companion to the Roman Empire, John Wiley & Sons, P.285

ج) التجارة وحركة النقل:

كانت التجارة في الدولة الرومانية في العصر الملكي قاصرة على تبادل البضاعة والسلع بين الأقاليم الرومانية، حيث كان نهر التيبر واحدا من أهم الطرق التجارية داخل شبه الجزيرة الإيطالية، ومع بداية الجمهورية الرومانية دخلت روما في اتفاقيات للتبادل التجاري مع الممالك القديمة، وازداد نشاطها التجاري منذ أن بدأ عهد الإمبراطورية الرومانية على يد أغسطس، ولذا عرفت الإمبراطورية ازدهار النشاط التجاري نتيجة هيمنة الإدارة المركزية في روما على الإمبراطورية في الداخل والخارج، وتأمين الملاحة البحرية بفضل قوة الأسطول الروماني.

وفتح أسواق جديدة في أفريقيا وأسبانيا، مع إعطاء الفرصة لقرطاجة لممارسة نشاطها التجاري من جديد، وأصبح البحر المتوسط طريقاً داخلياً للربط بين الولايات الرومانية، كما كانت السفن التجارية الرومانية متقدمة بشكل كبير على السفن اليونانية، ومن هنا تعددت الطرق التجارية والبضائع التجارية التي ركزت بالخصوص على النقدية والتجارية منها طريق البخور، و طريق شمال أفريقيا، وطريق البحر الأسود، و سلسلة الطرق المنتشرة في أوروبا[20].

د) الأسواق والنقـــــد:

اهتم الرومان بتوفير العملات النقدية الخاصة بهم لتسهيل المعاملات التجارية، وكانت نقودهم تصنع من الفضة والذهب والبرونز، وأحياناً بلغت قيمة كل عملة المعدن الذي تحتوى عليه، وقد قامت في خدمة التجارة حتى أواخر القرن الثاني للميلاد عملة رومانية قوية وسليمة وقد أجيز لبعض المدن الكبرى وعلى رأسها أنطاكية والإسكندرية في الشرق وكورنثية في اليونان التي نعمت بحقوق المواطنة الرومانية سك بعض النقود من الفضة وبالأخص البرونز ومثل هذا الامتياز الذي كان قابلا للإلغاء خضع بطبيعته لمراقبة شديدة من قبل السلطات الرومانية المركزية في الولايات المعنية , والتعامل بهذه العملات التي أطلق عليها علماء المسكوكات المعاصرين اسم العملات

---

[20] إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط. 1، دار النشر الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1996، ص. 101.

الاستعمارية كان يتم في نطاق ضيق لا يشمل التجارة الخارجية إلى انه فتح المجال أمام أعمال الصرافة المحلية من حيث توفير السيولة النقدية والتي عرفت الحركة التجارية المحلية أن تستفيد منها بيسر لوفرة النقد الرسمي المتداول بين الناس, وقد كان سك العملة البرونزية(assēs) حقا محصورا بمجلس الشيوخ ويخضع بتالي لمراقبة شديدة من قبل الإدارة الإمبراطورية لأنها كانت عملة رسمية للدولة, ولتجنب التضخم وتفادي هبوط قيمة النقد اعتمد الرومان في سك العملة البرونزية على خليط من الرصاص والزنك مع النحاس والقصدير[21].

وكانت قطعة البرونز المثالية as تلك القطعة التي تساوي ربع (sestertius) فضي وهذه القطعة بقيت الوحدة الأساسية في التداول حتى في المبالغ الكبرى خصوصا في الغرب وايطاليا[22].

2) التشريع الزراعي في الدولة الرومانية:

كانت نقطة انطلاق هذا التشريع القانوني الذي أقره الشعب بناء على اقتراح "طيباريوس غراكوس" حماية حقوق الشعب، استندت كافة القوانين أو المشاريع إلى المبدأ القانوني الذي يتيح للدولة أن تملك جميع الأملاك العامة، التي لم تنقل ملكيتها إلى شخص آخر وفقا للأنظمة المراعية التي كان باستطاعتها استعادة الأراضي المحتلة والتصرف بها كما يطيب لها، ولم يعرف القانون الروماني شأنا في شأن القانون اليوناني الاستملاكي للدولة الذي تلجأ اليه الإصلاحات الزراعية الحالية، وقد اكتفى قانون سنة 133 بتعيين حد أعلى يعادل 125 هكتار لرب العائلة يضاف إليها 62.5 هكتار لكل ولد، ومقابل ذلك يصبح هؤلاء مالكين شرعيين للأراضي الباقية وتقسم الأراضي المستعادة وتوزع على المواطنين، لكل منهم نصاب بمساحة 7.5 هكتارات لكل منهم لا يمكن

[21] Kessler, David and Temin, Peter (2010) "Money and Prices in the Early Roman Empire," in The Monetary Systems of the Greeks and Romans, Oxford University Press.

[22] السسترس أو السسترتيوس أو السيسترتيوس، كانت عملة رومانية قديمة. خلال الجمهورية الرومانية، كانت عملة فضية صغيرة تصدر فقط في مناسبات نادرة. خلال الإمبراطورية الرومانية كانت عملة نحاسية كبيرة.

بيعها، وتخضع لفريضة سنوية تسمح بمراقبة مصيرها فتتكون مرة أخرى طبقة صغار مستثمرين التي اعتبرت ضرورية لعافية المجتمع والدولة[23].

وبفضل سلسلة طويلة من القوانين الزراعية لم يقتصر على حصص الـ: 7.5 هكتارات بل توصلوا إلى 50 هكتار وألغوا الضريبة المفروضة عليها مما سهل نقلها للغير، وقد شرعوا في تطبيق هذه التدابير ليس في إيطاليا فحسب بل في الأقاليم الأخرى أيضا، حيث شملت الأملاك العامة كثيرا من الأراضي الخصبة. في نفس الوقت أراد المصلحون الأولون تخفيض عدد المواطنين الفقراء بالاستفادة منهم فسمح "ماريوس" للكادحين بالانخراط في الجوقات وحرص جميع القادة الظافرين على ايثاق تعلق جنودهم بهم بتأمين المكافأة لهم، فلجأ المصلحون إلى القوانين الزراعية كي يوزعوا على الجنود أنصبتهم من الأملاك بعد تسريح الجيش، بالإضافة للغنيمة الفردية مما أحدث إقبالا على التطوع عند اندلاع الحرب مما جعل الريفيون البؤساء يرضون بالمخاطرة بحياتهم بضع سنوات رغبة منهم في تأمين الحصول على قطعة أرض بعد نهاية الحرب.

[23] René Martin, Recherches sur les agronomes latins et leurs conceptions économiques et sociales, Paris, 1971, P. 418.

أ sestertius من نيرو ، ضرب في روما في 64 ميلادي. عكس يصور الإمبراطور على ظهور الخيل مع رفيق. الأسطورة يقرأ DECVRSIO ، و هذا يعني "مناو ر ة عسكر ية". قطر 35 ملم

dupondius of ،Sestertius of Hadrian Antoninus Pius، وكذلكMarcus Aurelius

خامســـا

دور الإصلاحات والتنوع الاقتصادي

1) تقنيات الزراعة الرومانية:

كانت أساليب الزراعة وأدواتها لا تختلف اختلافاً جوهرياً عما كانت عليه منذ قرون، فقد احتفظ المحراث، والمجرفة، والمعزقة، والفأس، والمذراة، والمنجل بصورتها التي كانت عليها في تلك الأيام، ولم تكد تتغير في شيء. وكانت الحبوب تطحن في طواحين تديرها المياه أو الحيوانات. وكانت المضخات اللولبية والسواقي ترفع الماء من العيون أو الأنهار إلى قنوات الري. وكان يحفظون بخصب التربة بأتباع الدورة الزراعية، واستخدام المخصبات والنباتات التي تفيد الأرض كالفصفصة والبرسيم والشيلم والفول. وكانوا يتفننون في انتخاب البذور، وكان في وسعهم بعنايتهم وحذقهم أن يجنوا ثلاثة محاصيل أو أربعة في بعض الأحيان من حقول كمبانيا ووادي البو الخصبة الغنية. وكان في مقدورهم أن يحصلوا من زرعة واحدة من الفصفصة على أربعة محصولات أو ستة في كل عام لمدة عشرة أعوام. وكانوا يزرعون كل الخضر الأوربية المعروفة عدا أندرها، وكانوا يزرعون بعضها في البيوت الزجاجية ليتجروا فيها أثناء الشتاء. وكانت أشجار الفاكهة والنقل على اختلاف لا أنواعها كثيرة، لأن القواد والتجار الإطاليين، والتجار الأجانب، والأرقاء حملوا معهم إلى إيطاليا الكثير من أصنافها، فجاءوا بأشجار الخوخ من بلاد الفرس، والمشمش من أرمينية، والكرز من كراسس في إقليم بنتس (ومنها اشتق اسم هذه الفاكهة)، والكرم من سوريا، والبرقوق من دمشق، والخوخ والبندق من آسية الصغرى، والجوز من بلاد اليونان، والزيتون والتين من أفريقية.. واستطاع المهرة من زراع الأشجار أن يطعموا شجر القطلب (الأريوطس) بأغصان شجر الجوز، وشجر الدلب بأغصان الخوخ، وشجر الدردار بأغصان الكرز. ويذكر بلنى تسعة وعشرين نوعاً من شجر التين كانت تزرع في إيطاليا، ويقول كالوملا: "لقد عرفت إيطاليا بفضل عناية زراعنا كيف تنتج فاكهة العالم كله تقريباً". ثم نقلت هذه الفنون إلى

غربي أوربا وشماليها. وجملة القول أن ألوان الطعام الكثيرة التي نأكلها قد تجمعت من رقعة واسعة من الأرض، وان لها من ورائها تاريخ طويل. وقد يكون هذا الطعام جزءاً من التراث الذي ورثناه من بلاد الشرق أو بلاد اليونان والرومان الأقدمين[24].

2) الإعانات الاقتصادية للمواطن الروماني:

كل هذا وما إليه إلى جانب هبات الأعياد والألعاب المعدة للترفيه عن الشعب, كالأعطيات (congiaria)التي توزع عينا ومقدارها (445 sestertius) في عهد (أغسطس) و (300 sestertius)في عهد (تيبريوس) و (كاليغولا) وهو الرقم المألوف، ثم ارتفعت الكمية في القرن الثاني بعد إخضاع داسيا الغنية بمناجم الذهب بحيث تجاوزت (650 denarius) في عهد (ترجانوس) وبلغت 1000 في عهد (هدريانوس) لتنزل إلى (850 sestertius) في عهد (ماركوس اوريليوس) واستقرت على (800 sestertius) في عهد (كومودوس), وهي مبالغ كانت توزع على المواطنين المتوسطي الدخل أثناء بعض الأعياد الذين لا يستفيدون من المساعدة الغذائية المجانية وهذا في ما يتعلق بالمساعدات المادية والعينية، أما من حيت جهة الإدارة الفنية لاستيراد وتنظيم توزيع هذه المساعدات فكان ذالك يعني إنشاء مفوضتي التموين والتوريد (cura alimentorum) و(Annonae) وتوفير وسائل النقل البحري وتجيهز أرصفة نهر التيبر وتجهيزيها بمخازن القمح إلى جانب تهيئة وتوسيع مرفأ اوستيا ومرفىء روما الرئيسي لاستقبال عبارات القمح الضخمة التي تجوب المتوسط من شرقه إلى غربه..

3) اقتصاد الحرب وتموين الجيوش بالغذاء:

أما أمر تموين الفيالق وتجهيزها بالعدد والعتاد والمؤونة فقد وضع الدوائر المعنية أمام مسؤولية ثقيلة كان حلها مع ذلك أبسط وأسهل من تموين الشعب، فمجموع أفراد الجيش المطلوب إعالتهم من العراق والقوقاز إلى بريطانيا وإفريقيا لم تتجاوز أعدادهم 300 ألف جندي وكانت أقل من هذه الجماهير الشعبية التي يجب مساعدتها في روما، ثم أن هذا الجيش لم يكن مجتمعا أو محتشدا

[24] ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر دار دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988، ص ص. 15 -37.

كهذه الجماهير المتراصة في روما والتي تعجز أخصب السهول المجاورة عن إشباعها بل كان موزعا على الحدود في قواعد ثابتة تحمي الأراضي والمزارع التي كانت تستغل في المؤخرة وكان يكفي لتامين حاجته من الطعام بان يحصل من الولايات الغنية القريبة له فائضا كافيا من محصول الأرض أو موارد غذائية أخرى وان يؤمن نقلها بحيث تصل إلى المستهلكين بسلام, أما المشكلة الأولى فكان حلها أسهل بواسطة الأموال التي استخدمت لشراء فائض المحصول لتموين الجيش, أما المشكلة الثانية فهي الأدق والأصعب سواء للجيش أو لروما نفسها وصعوبة الأولى نظرا لوقوع هذه الحدود والقواعد العسكرية في منأى عن البحر المتوسط وموانئه وهذا ما دعا لشق الطرقات البرية عندما يتعذر النقل النهري, أما بالنسبة لروما فقد كانت الممرات الملاحية التي تربط روما بمراكز إمدادات الحبوب (مصر وشمال إفريقيا وصقلية وربما أماكن أخرى) ذات أهمية استراتيجية، وكل من يسيطر على إمدادات الحبوب كان له مقاييس هامة للسيطرة على مدينة روما[25].

[25] غابريال كامبس، المرجع سابق، ص.6.

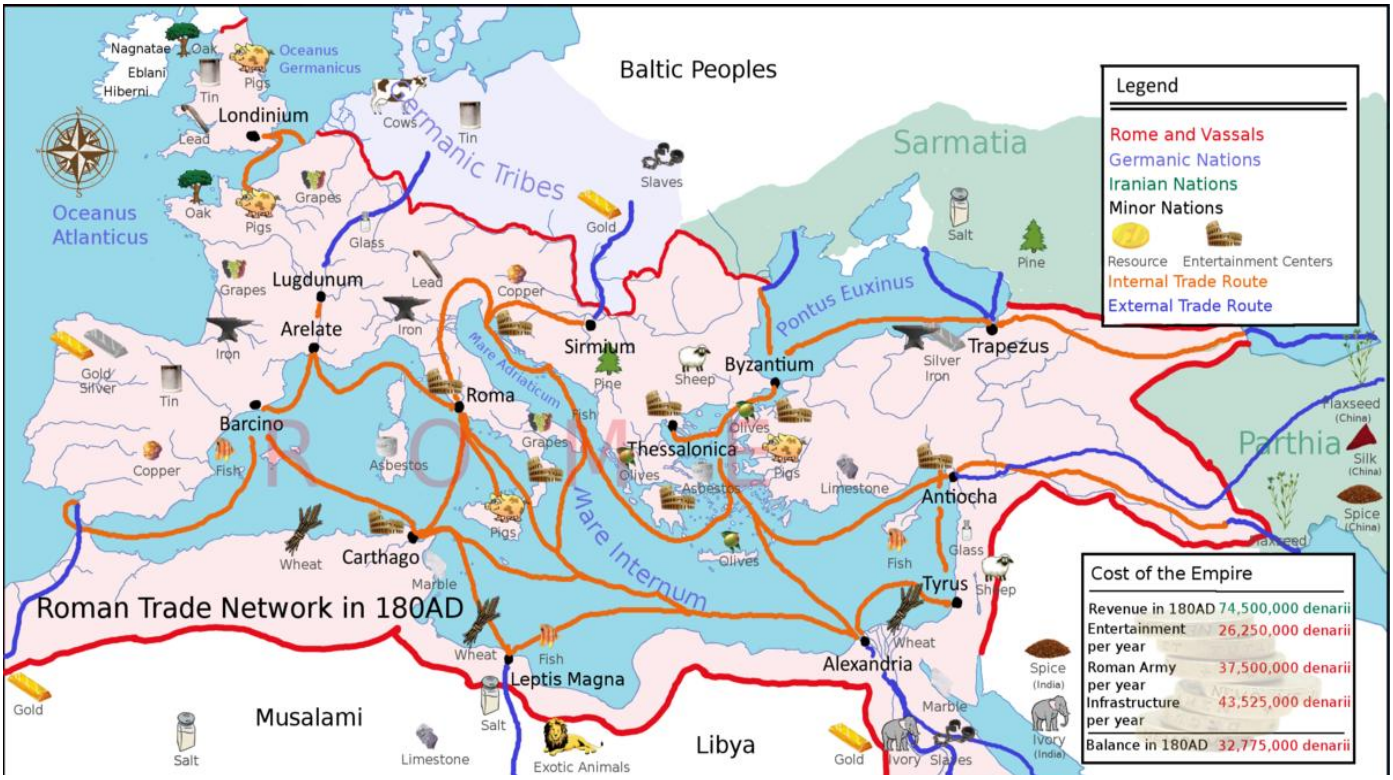

الطرق التجارية للإمبراطورية الرمانية خلا180 ق. م

سادسا

المبادلات التجارية

1) النقل التجاري وتموين المدن:

كان توفير الحبوب إلى روما مهمة شحن رئيسية وإدارية للرومان، ولم يكن من الممكن توفير احتياجات روما عن طريق النقل البري، كون "شحن الحبوب من أحد أطراف البحر الأبيض المتوسط إلى البحر" أرخص من "حمله عن طريق البر، وهكذا كان هناك أسطول كبير من سفن الحبوب مطلوبة لجلب الحبوب من صقلية وسردينيا القريبة نسبيا، وشمال أفريقيا البعيدة، ومصر الأكثر بعدا، في مسافات الخطوط المستقيمة (والسفن الشراعية لا تسافر عادة في خطوط مستقيمة)، كانت المسافات من صقلية إلى روما أكثر من 500 كيلومتر (310 ميل)، ومن قرطاج في شمال أفريقيا أكثر من 600 كيلومتر (370 ميل)، ومن مصر المزيد من 2000 كيلومتر (1200 ميل)، وقد تكون أوقات الإبحار من موانئ أوستيا (بالقرب من روما) وبوتولي) Puteoliبالقرب من نابولي) إلى الإسكندرية في مصر قصيرة لمدة 14 يومًا، إلى أن العودة إلى روما تستغرق وقتًا أطول لأن الرياح كانت عادة سلبية وكان على السفن أن تعانق السواحل والسفر بطريقة مستديرة "كانت الرحلة من الإسكندرية إلى روما معركة مستمرة ضد رياح كريهة، وقدر (ليونيل كاسون) أن متوسط الوقت للرحلة كان 70 يومًا تقريبًا بحيث كانت الحبوب تعبئ في أكياس خاصة، بدلاً من حملها في حاويات السفن حفاظا على جودتها من رطوبة البحر[26].

2) الواردات الغذائية من الشمال الإفريقي:

بالنظر إلى الوقت اللازم لتحميل وتفريغ سفن الحبوب يدوياً، فمن المرجح أن تكون السفن التي تعبر مسار مصر إلى روما قد أكملت رحلة واحدة في السنة فقط، ويمكن القيام بالعديد من الرحلات المستديرة سنوياً من شمال أفريقيا أو صقلية، والى هذا يعتقد أن إسبانيا كانت أيضا مصدرا هاما لزيت الزيتون، وربما الحبوب، وإذا كان موسم الحصاد للحبوب في مصر القديمة من

[26] Potter David, A Companion to the Roman Empire. John Wiley & Sons, 2009, PP. 286-296.

أبريل إلى أوائل يونيو، ووقت بدأ فيضان النيل السنوي في شهر يونيو، فبالتالي كان من الضروري الانتهاء من الحصاد قبل أن تغطي مياه النهر الأرض، ويبدو أن الحبوب في مصر كانت تحصل عليها روما كضريبة على المزارعين، حيث تم نقل الحبوب في الغالب من خلال المراكب على مختلف روافد نهر النيل إلى بحيرة (Mareotis) المتاخمة للجزء الجنوبي من مدينة الإسكندرية، هناك يتم تفتيشها ومعاينة الجودة، وعندما يتم قبولها، تنقل إلى ميناء الإسكندرية العظيم، حيث تم تحميلها على متن السفن إلى روما، أما الحبوب من شمال إفريقيا، فقد وجد علماء الآثار في شمال أفريقيا تسعة وعشرون ميناءًا (غير مصر)، يُحتمَل أن يكونوا مصدرًا حبوبًا إلى روما، تراوح مكانها من ليبيا إلى المغرب وربما كان أكبرها قرطاج، وبالنظر إلى عدم وجود أنهار صالحة للملاحة في المنطقة، تعين نقل الحبوب إلى هذه الموانئ عن طريق البر، مما يوحي بأنه، بسبب تكلفة النقل البري، زرعت الحبوب على مقربة من الموانئ. ومن المحتمل أنه تم نقل الحبوب إلى الموانئ في عربات بأربعة عجلات مرسومة بواسطة أربعة ثيران، كل عربة تحمل 350 كيلوغراما (770 رطل) إلى 500 كيلوغرام (1100 رطل) وقد تكون الحبوب من (Cyraenica) في ليبيا القديمة مهمة لأن الحصاد المبكر يمكن أن يمد روما قبل أن يتم حصاد مناطق زراعة الحبوب الأخرى[27].

3) دور الشمال الإفريقي في تموين الرومان بالقمح:

خلال العهد الجمهوري، تم شحن الحبوب إلى مدينة روما من صقلية وسردينيا وخلال القرن الأول قبل الميلاد، كانت المصادر الرئيسية الثلاثة للقمح سردينيا وصقلية وشمال أفريقيا، أي المنطقة التي كانت مركزًا في مدينة قرطاج القديمة، تونس الحالية، ومع انضمام مصر إلى الإمبراطورية الرومانية عهد الإمبراطور أغسطس، أصبحت مصر المصدر الرئيسي لتوريد الحبوب لروما، وقد كان المؤرخ (جوزيفوس) يدعي أن أفريقيا كانت تغذي روما لمدة ثمانية أشهر من السنة ومصر أربعة فقط، على الرغم من أن هذا التصريح قد يتجاهل الحبوب من صقلية، ويبالغ في تقدير

---

[27] آسيا مسعودي بوعجيمي، إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب خلال العهد الإمبراطوري الأول، معهد اقتصاد المكتبات، جامعة الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، 1994، ص ص. 159-166.

أهمية أفريقيا، إلا أن هناك القليل من الشك بين المؤرخين بأن أفريقيا ومصر كانت أهم مصادر الحبوب لروما إلى جانب قمح البحر الأسود القادم من مملكة البوسفور العميلة في ما يعرف اليوم بالقرم, وفي الفترة الجمهورية وللمساعدة في ضمان إمدادات الحبوب لروما، قام Gaius) (Gracchusبتوطين 6000 مستعمر قرب قرطاج في القرن الأول قبل الميلاد ضمن ما عرف بمشروع قانون (Lex Sempronia) ومنحهم حوالي 25 هكتارًا (62 فدانًا) لزراعة الحبوب التي يعاد تصديرها لروما كما نصت حزمة قوانين (**Lex Sempronia**) المثيرة للجدل حينها على أن يتم توزيع القمح على المواطنين الرومان بالمجان منعا لاستخدام سلاح القمح في الانتخابات القنصلية كوسيلة لتقرب من المواطنين وكسب تعاطفهم[28].

4) تغطية المستعمرات الرومانية لمواردها وحاجياتها الزراعية:

باستثناء مصر التي بقيت خاضعة لنظام خاص من الاستغلال والاستثمار لا رحمة فيه للفلاح المصري كان الوضع القائم مؤاتيا لحياة اقتصادية ناعمة تعم جميع أطراف الإمبراطورية لا سيما والاستقرار السياسي الذي تنعم به البلاد كان يشجع على القيام بهذا المجهود، فروما والجيش وشعوب الإمبراطورية الذين فاقوا الخمسين مليون نسمة ألفوا في الإمبراطورية سوقا للاستهلاك لا حدود لها تقريبا إذا كان من اتساع هذه الحاجات وتنوعها ما يتطلب المزيد من إنتاج محاصيل الأرض فالي جانب القمح الذي كان يؤلف أساس الغذاء يجب أن نضيف محاصيل غذائية أخرى متنوعة يتطلبها الكثيرون من الزبائن والمستهلكين ومقادير هائلة من المنسوجات والمصنوعات التي يمكن نقلها على طريق القائمة في جميع أطراف الإمبراطورية، وقد كانت روما لوحدها قطب جذب ومركز ثقل هائل لكل ما يمكن أن يبلغ في طريقه إلى موانىء البحر المتوسط, حتى ما كان منها من الكماليات الغالية الثمن لوجود أصحاب ثروات هائلة طائلة في أحيائها وصروحها, أما تمركز الفيالق ضمن قواعد ثابتة على أطراف حدود الإمبراطورية وحدودها المتاخمة لشعوب البرابرة قد

---

[28] محمد علي أبوشحمة، المزارع المحصنة بالمنطقة شبه الصحراوية ودورها في ترسيخ الاحتلال الروماني لإقليم المدن الثلاث وما حولها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة 7 أكتوبر، كلية الآداب، مصراتة، 2007، ص ص. 70- 79.

بعث في هذه الأقطار المتأخرة في تطورها عن ركب الحضارة, ونتيجة حتمية لاحتكاكهم بالعالم الروماني نشاطا اقتصاديا عارما لم تعرفه من قبل كان من بعض نتائجه الخيرة إحياء الأرض وإعمارها واستقرار السكان في قرى سرعان ما تحولت إلى مدن على حدود الإمبراطورية وإنشاء المصانع والمعامل في أرجائها[29].

5) النشاط التجاري بين الرومان ومستعمراتهم المؤمن والمستمر:

إن شبكة الاتصال المنتظمة داخل الإمبراطورية والتي تربط مقاطعتها الساحلية بالمقاطعة الواقعة في مؤخرتها, إضافة إلى حركة الملاحة في المجاري المائية والنهرية الكبرى مهد السبيل أمام حركة تبادل تجاري جبارة وكبرى ليس فقط مابين أقطار الإمبراطورية الداخلية بل حتى مع عالم ما وراء الإمبراطورية المتبربرة والذي لم تقتصر –فيه المبادلات على البضائع الاستهلاكية فقط..، وهكذا فان القضية المحسوسة الكبرى التي اهتم بها المؤرخين اليوم هي تلك الحركة الاقتصادية التي تبلورت حول تشعب العلاقات التجارية وتشابك هذه العلاقة التجارية التي ضمت الأقطار الشاسعة الواقعة في شمال أوربا الغربية وشواطئ الضفة الغربية للبحر المتوسط إلى الوحدة الاقتصادية التي اقتصرت في ما مضى على شواطئ البحر المتوسط الشرقية وعالم الشرق الأدنى الهلينستي فجاءت الفتوحات الرومانية وربطتها بقلب ايطاليا في العهد الجمهوري ثم راحت هذه الوحدة الاقتصادية تتسع في العهد الإمبراطوري لتضم في نطاقها قطاعات ما وراء الدانوب والرين وجنوب اسكندينافيا وغرب روسيا وشمال اسكتلندة, وهكذا نرى سكان اسكندينافيا يتاجرون مع ايطاليا وجنوب بريطانيا يتاجر مع لبنان في الوقت الذي ذهب فيه التجار السوريون يجوبون جميع أطراف العالم الروماني الذي كان قبل كل شئ وحدة سياسية وعسكرية ولم يلبث أن أصبح وحدة

---

[29] أحمد أنديشه، الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية، ص ص. 13– 29. ؛ عبد العزيز عبد الفتاح، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2007، ص ص. 63– 79.

تجارية واقتصادية ناشطة حية بفضل الروابط التي شدت دوانيه إلى أقاصيه عبر البحر المتوسط[30].

6) عوامل ازدهار تجارة المستعمرات الرومانية:

هذا الازدهار التجاري توفرت له عوامل تقنية في غاية الملائمة, فمن مقومات هذا الازدهار هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف ذات العملة والجهاز الإداري والنظام القانوني الموحد في جميع أقاليمها والغنية بالإنتاج المتنوع والغلال المتعددة والمحاصيل الزراعية المختلفة والأساليب والمنتجات الصناعية المتباينة, وكان السفر والتجوال في جميع أطرافها حرا لجميع رعاياها لا يحد من إمكانياته إلا ازدواجية اللغة: اليونانية في الشرق واللاتينية في الغرب, ومع ذالك لم تؤلف هذه الازدواجية عقبة استعصى حلها في وجه النشاط الاقتصادي, وانتقال المحاصيل الزراعية من ولاية إلى أخرى حضي بالحرية نفسها لتنقل الأفراد, باستثناء الحبوب المصرية التي لم يكن الأباطرة يسمحون بتصديرها لغير ايطاليا إلا في ما ندر, وكانت هذه المبادلات تخضع بالطبع لرسوم وضرائب اختلفت في اقدراها ونسبها حسب طبيعة الحمولة وأوزانها ووسائل نقلها ووجهة سيرها ومن بين هذه الرسوم الرسم الاقليمي (portoria) الذي يعتبر أول نوع من الضرائب غير المباشرة التي ظهرت في التاريخ.

[30] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والاقتصادي، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1998، ص ص. 200-219.

الخاتمـــــة

قدمت في الدراسة موضوع ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها (الشمال الإفريقي أنموذجا)، والتي تناولت فيها حيثيات الإجابة عن إشكالات بخصوص ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها، ومن ضمنها معرفة النشاط الزراعي ومظاهره والمتمثل في كل من واقع النشاط الفلاحي في المغرب خلال الفترة الرومانية، وما ترتب عنه من أنشطة زراعية ورعوية وازدهار المحاصيل وخاصة منها الحبوب، وذلك وفق تشجيع الرومان للسياسة الفلاحية والزراعية في منطقة الشمال الإفريقي كغيرها، وإبراز دور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد الزراعي، وانتعاش الاقتصاد المغربي في ظل الاحتلال الروماني، مع انتهاج أشكال وطرق للاستغلال الاقتصادي، نتجت عنها مبالغة في استنزاف الأراضي، وعمليات القطع المفرط للأشجار، وتفضيل الرومان لبعض الاستثمارات عن الأخرى، وذلك ضمن مشروع الرومان وسياستهم الاستعمارية في المجال الاقتصادي لأنهم كانزا يولون الاقتصاد أهمية كقوة داعمة، واستراتيجيا لتوفير الأمن الغذائي..

كما بينت في الدراسة أهمية ودور طرق المواصلات الاقتصادية، ومن بينها الطرق المغربية، ووسائل انقل بين الرومان ومستعمراتهم، من بينها النقل التجاري البحري، وبناء سفن النقل، وذلك ما أدى لتنوع مظاهر الاقتصاد الروماني، كالسلع والمنتجات، وحركة النقل مع العالم الخارجي، في الجانب الزراعي، والجانب الصناعي، والتجارة وحركة النقل، والأسواق والنقد، وقد سن الرومان التشريعات الزراعية، وقاموا بإصلاحات اقتصادية، وأدخلوا تقنيات زراعة، وقدموا إعانات اقتصادية للمواطن الروماني، كما اهتموا باقتصاد الحرب وتموين الجيوش بالغذاء، ولذا انتهجوا لأسلوب المبادلات التجارية، وكثفوا عمليات النقل التجاري وتموين المدن، ونوعوا الواردات الغذائية من الشمال الإفريقي الذي ظل دوما الخزان الإستراتيجي لتموين الرومان بالقمح، وتغطية مواردهم وحاجياتهم الزراعية، وتلك هي سياسة الرومان التجارية ومظاهر ازدهار اقتصادهم مع مستعمراتهم..